

علم الاجتماع الطبيهناك ارتباط وثيق ومباشر بين الظروف والمعايير والأفعال الاجتماعية وبين الأمور المتعلقة بصحة ومرض الأفراد ومن ثم المجتمعات سواء من حيث نوعية الأمراض والوقاية منها والظروف التي ساعدت على الإصابة بالمرض وأيضاً بالظروف الصحية السليمة التي حالت دون الإصابة بالمرض لأن السيرة الذاتية والمؤثرات الاجتماعية الطبيعية وثقافة الفرد والمجتمع إنما هي أساس التأثير إيجاباً إصابة الفرد بمرض أو صحته وبالتالي يكون هناك ارتباط لا مفر منه 1 علم الاجتماع علم يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية والسلوك العام الناتج من تأثير الفرد وتأثيره في المجتمع وأيضاً نمط الحياة السائد التابع (والتأثر بثقافة المجتمع التي تحدد ملامح وصفات وميزات أي مجتمع عن الآخر ولأن علم الاجتماع الطبي أحد فروع علم الاجتماع فإنه يدرس ما سبق بالتركيز على العلاقة 2/18 التكامل بين علم اجتماع الطبي وعلم الاجتماع العام. وكما أسلفنا سابقاً بين الفرد والمجتمع وقضيتي الصحة والمرض لأن بعض الحالات المرضية العضوية يمكن أن يكون سببها غير المباشر الاضطرابات النفسية وبالتالي الاجتماعية والعكس يمكن أن تكون بعض الأمراض النفسية خاصة والاجتماعية عامة ناتجة عن بعض الأمراض العضوية، إلى جانب النسق الطبي لقف مجموعة من الهيئات والتنظيمات والجمعيات المساندة للنسق الطبي. مثال على ذلك الجمعيات الإنسانية الطبية والمنظمات الصحية العالمية مثل منظمة الصحة العالمية والهيئات الطبية التطوعية والقسام الصحة العامة وشركات الأدوية ومؤسسات التأمينات الصحية والتي تتظاهر الجهود جميعها للحفاظ على الصحة ومعالجة الأمراض كل حسب تخصصه ومجاله الذي لا تنكر فاعليته اجتماعياً وطبياً للحيلولة دون انتشار الأمراض ومساندة النسق الطبي في العلاج. ولا يخفى على أحد أن من الضروري جداً أن يدرك ويعي العامل في النسق الطبي البيئية أو الطبيعة الاجتماعية والدينية (العقائدية) التي يعيش فيها أو يعمل فيها وعليه التمييز بين المعتقدات الدينية المختلفة في المجتمع الواحد إلى جانب اختلاف ثقافة المجتمع الواحد بأنواعه الحضري والريفي والبدوي كذلك الإلمام بكافة الدراسات والإحصائيات المتعلقة بالمجتمع الذي يعيش فيه مثل ثقافة المجتمع وأنواع الأمراض وأسبابها وكذلك معدلا لوفيات والولادات أيضاً الإلمام الكافية وتاريخ وميزات وأهداف مجتمعه وشعبه الذي ينتمي إليه وتطور بلاده سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وطبياً وتربوياً وثقافياً وخصائص كل تطور وتأثير هذا التطور على المجتمع. هناك أسس وقواعد ومرتكزات يعتمد عليها علم الاجتماع الطبي عند دراسته لأي حالة اجتماعية فردية كانت أم جماعية للإنسان كفرد أو الأعضاء المجتمع الطبيهوي تعتبر أساسية من أجل النجاح في تقييماً ومعرفة أي شيء عن الإنسان كفرد أو المجتمع المراد دراسته وهي: -1- من أسمى وأرقى الكائنات الحية لأنه يتميز بشيء لا يمتاز به غيره من الموجود على الأرض سواء كان حياً أو طبيعة صامته وهي العقل والتفكير والشيء الثاني العواطف والإحساس ولأن الإنسان كتلة بيولوجية تمتاز بمواطف وأحاسيس وبالتالي فهو يفكر وينمو فكرياً كلما كبر وتقدم به العمر. -2- أي إصابة أو مرض يصيب الإنسان فإن المسؤولية الملقاة على المجتمع تجاه الإنسان كبيرة لأن الإنسان أساس المجتمع وبالتالي وحسب موقع الإنسان في المجتمع أو مهنته أو وظيفته يجب التعامل معه في قضيتي الصحة والمرض فبالوقاية من الأمراض أو في علاج المرض بعد الإصابة. - أي إصابة للإنسان أو للمجتمع لها تأثيرات كبيرة على المجتمع سواء من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والإنتاجية للفرد وسلوك الفرد في المجتمع. عند إصابة أي إنسان بمرض فإن الطبيعة البيولوجية تختلف من إنسان إلى آخر وكذلك سلوك المرض ومن هنا تختلف طريقة الوقاية من المرض وكيفية العلاج تختلف من شخص لآخر لاختلاف الطبيعة الإنسانية. وهنا يصنف الإنسان بأن له الخاصتان فردية خاصة به وسلوكه الفردي وعامة أو مجتمعية يشترك ويقاسم المجتمع فيها كل مرض أو علاج أو سلوك. تطور علم الاجتماع الطبي تطورت الخدمات الصحية قديماً بخطي بطيئة جداً لعدم وجود الدراسات والنظريات والقوانين السابقة ولعدم وجود الأخصائيين أو العلماء القادرين على رقد الصحة بنظريات أو أساليب أو مقترحات لتقدمها وتطويرها ولعدم الاهتمام الشعبي والاجتماعي بهذه القضية السيطرة افكار في حينها كانت السائدة والرأجة والمعترف بها حتى أنها أصبحت ثقافة للمجتمع منغرسه به ومتأصلة ويجب الحفاظ والاعتقاد بها وهي إلزامية السيطرة رجال الدين الكنيسة على هذه الثقافة من جهة وسيطرة المشعوذين والسحرة من جهة أخرى. -1- عند الديانة الإسلامية فقد كرم الله الإنسان وجعله أنيل واحسن المخلوقات فكانت نظرة المسلمين نابعة من تعاليم الدين الحنيف بالنسبة لقضيتي الصحة والمرض والمرضى والمعاقين كنظرة إيجابية يجب التعامل معها على أساس السعي للعلاج الطبي الرسمي مع وجود العلاج بالقرآن الكريم وهو ما نسميه الآن بمصطلح (الحجامة). وحث الدين الحنيف على عدم التغذية السليمة وطرق الوقاية من الأمراض وفوائد بعض الأغذية مثل العسل والتمر من ناحية علاجية وطبية. القديمة أثرت تأثيراً سلبياً على تطور الخدمات الصحية والطبية للاعتقادات الدينية الخاطئة التي بطلت من تطور الخدمات الصحية وصحة وحالت دون النهوض والبحث أو الدراسة في مجال الصحة لعدم إكترائهم بالأمور العلمية وتركيزهم على الأمور الدينية فقط وبقيت قضية تطور الصحة بين مد

وجزر تنتعش أحيانا باهتمامات خاصة غير معممة وتتراجع تارة لاعتبارات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو دينية غير الديانات السماوية تتقدم أحيانا باهتمام ذوي الاختصاص قدمناها سابقا لعدم وجود الاهتمام أو الدعم أو تتراجع أحيانا للاعتبارات التي التعزيز الكافي حتى دخلنا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي بدأت به بوادر الاكتشافات والعلوم المختلفة بالظهور لتقدم الشعوب في التكنولوجيا ووجود الثورة الصناعية التي غيرت مفاهيم كثيرة وأوجدت ما يسمى الحاجة أم الاختراع لحاجتها للإنسان الذي سيدبر وينتج في هذه الثورة الصناعية التي لاحقا غيرت مجرى العالم واختلفت واختلت الموازين موازين القوى في العالم الأمر الذي مهد الطريق للاهتمام بالصحة العامة وحاجة المجتمع الصناعي للاهتمام بالاكتشافات والدراسات الطبية لا سيما ظهر مجتمع جديد يسمى بمجتمع المهنة وظهور الأمراض المهنية التي تصيب أشخاص يمهنون مهنة معينة تحت ظروف بيئية واجتماعية ومهنية واحدة ناتجة هذه الأمراض من تعرض الأشخاص للظروف ببلية مهنية واحدة مثل المواد الكيماوية الناتجة عن الصناعة والتفاعلات الكيماوية أو أبخرة معينة أو التعرض لإشعاعات معينة أو ظروف سكنية ناتجة عن الرطوبة الزائدة أو مبيدات حشرية للزراعة أو نقل بعض الأمراض بالعدوى من التعامل مع الحيوانات وغيره الكثير. (2) نشأة علم الاجتماع الطبي قد تطور البحث والدراسة في مجال العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع الطبي. لقد كان هناك محاولات ولو بسيطة عند العرب والمسلمين في القرن التاسع عشر في تطبيق دراسات وأبحاث ونظريات علم الاجتماع الطبي في مجالات بسيطة وهي سلوك الإنسان والحياة اليومية وبعض الدراسات الاجتماعية المرتبطة بالصحة والمرض متأثرين بتعاليم الإسلام من حيث أن العلم فريضة على كل مسلم وأن العلم عبادة كما يقول الله سبحانه وتعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) . مع أن الظواهر الطبيعية البيئية مثل الماء والهواء والكائنات الدقيقة الحية، مسببات رئيسية للأمراض الفتاكة وخاصة المعدية منها مثل السل والكوليرا والطاعون فإن مجالات الصناعة الحديثة والتفاعلات الكيماوية الناتجة من الصناعة أصبحت مسبباً أكثر فتكاً بالإنسان من المسببات البيئية فهي تسبب السرطان ونمط الحياة الصعبة تؤثر تأثيرات نفسية وبالتالي نتيجة الإرهاصات والضغط النفسي جاءت أمراض الأعصاب والجلطات وأمراض القلب والشرابين ونظرا للاختلاف في المناخ والطقس من فصل إلى فصل فإن لكل فصل امراضه الخاصة به. تقدم علم الاجتماع الطبي في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ونشطت الأبحاث في أمريكا وأوروبا للحاجة الملحة جدا للمجتمع وربط القضايا الاجتماعية بقضايا الصحة والمرض وارتباط الصحة والمرض في القضايا الاجتماعية وأصبحت الدراسات والبحوث تدرس حالة المجتمع بكامله ومن ثم تدرس الحالة السلوكية والاجتماعية للفرد من خلال دراسة المجتمع لأن المجتمع يعكس سلوك الأفراد المكونين للمجتمع أي تحول النظرة الفردية للإنسان إلى النظرة الجماعية للمجتمع) من الجزء إلى الكل وتم التركيز على دراسة الأوبئة والأمراض المستعصية والأمراض الاجتماعية بشكل خاص في القرن العشرين دراسة منظمة وعلمية علماً أن هذه الدراسات قد بدأت في نهايات القرن التاسع عشر واستمرت في القرن العشرين ولا زالت. تعريف علم الاجتماع الطبي يختلف المختصون والعاملون في مجال علم الاجتماع ومجال الصحة حول تعريف شامل ووافي لعلم الاجتماع الطبي لأن التعريف سيسير حول خلفية المختص فهو يركز على النواحي الاجتماعية أكثر من تركيزه على النواحي الصحية إذا كان المختص يعمل في مجال الشؤون والدراسات الاجتماعية وسيسير ويركز على النواحي الصحية من حيث الصحة والمرض إذا كانت خلفية المختص في مجالات الرعاية الصحية والطبية ولكن كما أسلفنا سابقاً أن علم الاجتماع الطبي يبحث في تصورات الإنسان والبشر عن قضيتي الصحة والمرض وتأثيرات النواحي على هاتين القضيتين. ونظراً لأن علم الاجتماع الطبي يتداخل ويؤثر 7/18 م الطبيعية منها مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء والعلوم الإنسانية كعلم النفس والتربية السكانية والبيئة الاجتماعية والتربوية. معا فإن تعريف علم الاجتماع الطبي سيكون جامعاً وشاملاً لكل هذه العلوم بحيث يؤكد العلاقة الوطيدة بين الاجتماع والطب من هذا المنطلق فإن العلوم الطبية تبحث في القضايا الصحية والمرض والعلوم الاجتماعية تدرس البناء المجتمعي وسلوك الأفراد وثقافة المجتمع ويقدم تطبيقات عملية حول المجتمع من خلال الإنسان وهذا يقودنا إلى أن علم الاجتماع الطبي يمثل حلقة ونقطة الالتقاء بين العلمين الطبي والاجتماعي بحيث لا يفصل بينهما شيء لأن دراسة علم وترك الآخر يوجد خلل في تعريف علما الاجتماع الطبي. ومن التعريفات المقترحة لعلم الاجتماع الطبي (1) علم الاجتماع الطبي يركز على العلاقات الإنسانية ودراسة المجتمع من ثقافة وعلوم وإنجازات وتأثير وتأثر وعلاقة الإنسان بالمجتمع وعلاقته بالصحة والمرض